

الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ومكانته علمه



عندما نريد أن نتحدث عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فإننا نتحدث عن قمم الروح والفكر والجهاد والافتتاح على الواقع الإسلامي كله من موقع القيادة والرياسة والمسؤولية، والإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) عاش مرحلته في حركة العلم في جميع حاجات الناس آنذاك، وعندما ندرس حركته من خلال الذين تعلّموا منه ورووا عنه، فإننا نجد مدرسته تتميّز بالتنوع في الدين أخذوا منها ما أخذوه من علم، بحيث لم تكن مدرسته مدرسةً مذهبيةً تقتصر على الذين يلتزمون بما ماته وحسب، بل كان مرجعاً لكل الناس الذين يتبنّون في اهتماماتهم. وقد كانت عظمة أهل البيت (عليهم السلام) – كما هو دورهم – أن يرصدوا الساحة في حركتها واتجاهاتها، وما هي السلبيات التي يمكن أن تدخل في عمق الفكر الإسلامي من خلال خطٍ منحرف هنا، وحركة فوضى في الوعي الثقا في هناك.

ومن هنا، فقد واجه الإمام الكاظم (عليه السلام) كلَّ التيارات المنحرفة التي حاولت أن تفرض نفسها على الواقع الإسلامي لتبتعد به عن الخط المستقيم، فواجهها بالفكر الإسلامي النقى الذي أخذه عن آبائه (عليهم السلام) عن جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن جبرايل عن الله تعالى.. وكان (عليه السلام) يبرز الرأي الصحيح في كلِّ خلاف فكري على مستوى القضايا العقائدية والشرعية وكافة المفاهيم الإسلامية، وكان في كلِّ موافقه ناصحاً للمسلمين في شؤونهم الخاصة والعامة وشديداً مجالات حياتهم. حيث كانت المرحلة التي عاشها الإمام الكاظم (عليه السلام) مرحلة وهي ثقافية أغناها بعلمه، واستفاد منها أساتذة المجتمع كله.. كانت رسالته – التي هي رسالة الإسلام –، أن يرصد حركة الناس في الأمور الصغيرة والكبيرة، ولا يتركهم يسيرون على هواهم ويختضعون لتيارات الانحراف، سواء كان انحرافاً عقدياً أو اجتماعياً أو سياسياً، فكان يوجّههم ليتمكنوا من تجاوز هذا الانحراف، وكان من خلال ذلك يُوحى إلى كلِّ العلماء من بعده أن يتحرّكوا في علمهم وحركتهم في قلب المجتمع، ليدرسوها حركة سيره هل هي في خط الاستقامة أو في خط الانحراف؟ لأنَّ الله تعالى لم يعط الإنسان علمَ إلا من أجل أن يوظّفه في إصلاح المجتمع وهذا ياته.

وعلى الرغم مما عاشه الإمام (عليه السلام) من طروف قاسية وصلت حدَّ المأساة، إلا أنَّه لم يهن أو يضعف أو يسقط، بل كان يزداد قوَّة وروحانية، وهو ينتقل من سجن إلى سجن بأمرِ الخليفة

العباسي هارون الرشيد، الذي عرف تأثير الإمام الكاظم (عليه السلام) في الواقع الإسلامي، وكيف حصل على الثقة الكبيرة في المجتمع الإسلامي بعلمه وروحانيته وأخلاقه، فضيّق عليه، وما زاده حنقاً عليه هو أنَّ الناس لا يقدِّرون الإمام (عليه السلام) كعاليٍّ مَوْعِدٍ وحسب، شأنه شأن بقية العلماء الآخرين، بل كانوا يعتقدون بإمامته وينفعلون بقداسته. وقد روى الناسُ عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) فأكثروا، وكان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله وأحسنهم صوتاً بالقرآن، وكان إذا قرأ يَحْمِرُ وي بكى وي بكى السامعون لتلاوته، وكان الناس بالمدينة يسمّونه زين المتجه دين، وسمّي بالكافر لما كظمه من الغيط وصبرَ عليه من فعل الطالبين به.

وقد سُئل (عليه السلام): هل يَسْعُ الناسَ تركُ المسألة عمّا يحتاجون إليه؟ - يعني هل للناس حرية إذا جهلو شيئاً مما يتصل بمسؤولياتهم في حركتهم في الحياة، هل لهم الحرية في أن يبقوا على جهلهم؟ - قال: «لا»، فليس لك الحرية أن تبقى جاهلاً، فإذا جهلت فتعلّم، ونحن نعرف أنَّ الإسلام جعل القيمة للعلماء، بأنَّهم الذين يخشون الله، كما في قوله سبحانه: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ عِبَادَهُ الْعُلَمَاءُ) (فاطر/ 28)، وفي قوله عزَّ وجلَّ: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (الزمر/ 9)، وقوله سبحانه: (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (الزمر/ 9).. وهكذا ورد في الحديث: «إنَّمَا أخذ على الجُهَّال أن يتعلّموا كما أخذ على العلماء أن يعلّموا».